الفصل الرابع
نظريات تفسير الإبداع

* نظرية الفكر الفلسفي الإسلامي

1- عند ابن سينا 2- عند الإمام الغزالي

* نظرية التحليل النفسي والإبداع

* النظرية العاملية والإبداع

* المذهب الإنساني والإبداع

أولاً : نظرية الفكر الفلسفي الإسلامي والإبداع

1- ابن سينا والإبداع :

يصف ابن سينا العقل بأربع مراتب ، أدناها العقل الهيولاني ، ثم العقل بالملكة ، ثم العقل الفعال ، ثم العقل المستفاد الذي يعتبر كمال العقل ، أما الإبداع فإنه يُعتبر أعلى رتبة من التكوين والأحداث ، فالتكوين: أن يكون في الشيء وجود مادي ، والأحداث: أن يكون في الشيء وجود زماني ، وعلى هذا فالإبداع أن يكون الشيء لا من مادة ولا من زمان سابق ، ويصف عملية الحدس بأنها استعداد قد يشتد في بعض الناس حتى لا يحتاج إلى تعليم أو أن يتصل بالعقل الفعال.

ثم عدل بعد ذلك ابن سينا عن القول بالخلق إلى القول بالإبداع ، ثم القول بالفيض ثم القول بالتجلي علة وجود الكائنات عن واجب الوجود.

2- الإمام الغزالي والإبداع:

حيث يرى الإمام الغزالي أن الحدس نوع من الإلهام ، أي الانتقال من القوة إلى الفعل بواسطة العقل الفعال على شكل وثبة عقلية سريعة .

ويميز الإمام الغزالي بين نوعين من الإدراك : الإدراك بالتعليم ، والإدراك بالإلهام ، فالإدراك الإلهام يتأتى للفرد بالتقوى (طريق التعليم الرباني) ، ويتمثل ذلك في قوله تعالى: {واتقوا الله ويعلمكم الله} صدق الله العظيم.

هذا التعليم لا يحصل عليه الفرد بالاكتساب وإنما يهجم على القلب من حيث لا يدري ، ولذلك سُمي بالإلهام الروحي. {عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى} صدق الله العظيم.

ثانياً : نظرية التحليل النفسي والإبداع

وتفسيرها يتمثل في تفسير "سيجموند فرويد" ، حيث يرى أن الإبداع هو الصراع بين الـ "هو" بما تمثله من محتويات غريزية وعدوانية، والـ "أنا" بما تمثله من قيم المجتمع ، فيلجأ المبدع إلى الإعلاء كحيلة دفاعية عند هروبه من الواقع للتخلص من الموقف إلا أن المحتويات الغريزية لا تُشوه عند لجوئه إلى هذه الحيلة الدفاعية ، وذلك على النقيض مما يحدث من تسوية لهذه المحتويات عند استخدام مثل هذه الحيل الدفاعية.

فالإبداع هو تعبير عن تلك المحتويات اللاشعورية المرفوضة اجتماعياً في صورة يقبلها المجتمع يتمثل في صورة إعلاء لهذه المحتويات الغريزية.

نجد "ليونارد دافنشي" ظهر عنده مفهوم الإعلاء (التسامي) لتفسير ابتكاره في الفن ، وقد حدد "فرويد" الإعلاء بوصفه استبدال الهدف الجنسي الأساسي بهدف آخر غير جنسي ، وبذلك يكون الإعلاء مظهراً هروبياً من الواقع الذي لا يستطيع الفرد فيه مواجهة مطالب الإشباع الجنسي الغريزي ، إلى عالم آخر خيالي حيث يطلق فيه الفنان العنان لرغباته الجنسية ، ولكي ينجح في ذلك فإن عليه أن يحوِّل خيالاته إلى واقع جديد ، حيث يكون الإنتاج ابتكاراً في مجالات الفن والموسيقى وكذلك العالم أو الأديب في مجالات العلم والأدب.

ويذظر "شارب"Sharp إلى النشاط الخيالي الإبداعي لكل من العالم والفنان على أساس أنه محاولة للسيطرة على النزعات العدوانية والجنسية عن طريق إعلاء تلك النزعات الغريزية.

ويرى "سويف" أن محاولة تفسير الإعلاء هو ضرب من ضروب التعليل اللفظي يشبه التعليل ، بالملكات ، فالإعلاء فكرة غامضة كل الغموض ، ولا يمكن الأخذ به باعتباره مفسد لعملية الإبداع ، ويذكر "عبد الحليم محمود" أن مفهوم الإعلاء لا يفسر لماذا تتجه طاقة الرغبات الجنسية الغريزية إلى إبداع لدى بعض الأفراد ، بينما تتجه لدى البعض الآخر إلى مرض نفسي أو عصبي، فضلا عن عجز مفهوم الإعلاء عن تفسير الاتجاه إلى نوع معين من أنواع النشأة الإبداعية ، شعراً أو فناً تشكيلياً ، أو فرعاً من فروع العلم ، كذلك فإن مفهوم الإعلاء ليس من السهل تعريفه إجرائيا ، وبالتالي ليس من السهل قياسه.

أما "أدلر" Addler فيرى أن الإبداع إذما ينتج عن شعور بالنقص ، وخاصة النقص العضوي ، مما يدفع بالمبدع إلى أن يواجه بشجاعة هذا الشعور بالنقص عن طريق التعويض ، وهذا ما يميز المبدع أو العبقري عن العصبي الذي يتخذ هذا النقص حجة لعدم بذل الجهد، فالشعور بالنقص يحقر الإنسان في نظر نفسه ، ويزيد شعوره بعدم الأمن ، ولكن هذا الشعور بعينه هو الذي يدفع الشخص إلى مستويات عالية من الأداء في بعض الميادين التي لا تنتظر منه.

ويقرر "أدلر" أن أثر نواحي القصور العضوي والنقص يبدو في دفع الإنسان إلى الحصول على القوة وتحقيق السيطرة بالتغلب على هذا القصور .

وقد دعم إدلر فكرته هذه على ألوان القصور المختلفة والأمثلة التي لا تعطى لإظهار أثر التعويض كبيرة ، منها الخطيب اليوناني المشهور

(ديموستين) الذي نمَّى موهبته في الخطابة كتعويض لما شعر به من نقص في القدرة على الكلام.

و"بيتهوفن" الذي ألَّف أعماله الموسيقية الكبرى ، حينما بدأ يُصاب بالصم ، وربما يشكو من نقص في حاسة السمع لازمته منذ بداية حياته ، وقد أنصب اهتمامه على الموضوعات السمعية.

ثالثاً : النظرية العاملية والإبداع

فسر "جيلفورد" الإبداع من خلال نظريته العامة عن التكوين العقلي (نموذج بناء العقل) ، حيث يقوم هذا النموذج على ثلاث محاور (العمليات - المحتوى - النواتج) وتمثل العمليات الأنواع الرئيسية من الأنشطة العقلية وهي :

1- بعد العمليات Process : ويشمل المعرفة Cognition ويتضمن الاكتشاف ، الإدراك ، اليقظة ، التمييز ، الفهم.

2- التذكر Memory : ويعني الاحتفاظ بالمعلومات وتخزينها .

3- التفكير : يفرق "جيلفورد" بين نوعين من التفكير :

أ) تفكير تقاربي (الذكاء) حيث ينصب التأكيد على أحد المنتجات المعروفة لتوليد المعاني، ويشترك جميع الناس في هذا التفكير "الذكاء" وسماه "سبيرمان" بالعامل العام.

ب) تفكير تباعدي (الإبداع) حيث ينصب على كم وكيف المعلومات وهذا التفكير مقتصر على المبدعين فقط دون غيرهم.

4- التقويم : أي الوصول إلى قرارات أو أحكام أو هو التفكير الناقد الذي يأتي بعد التفكير الإبداعي.

*** بعد المحتوى** : حيث تعمل هذه العمليات السابقة في النموذج على كل أنواع المحتوى الشكلي ، الرمزي، السيمانتي ، المعنى ، السلوكي ، كما تعمل هذه العمليات على كل من النواتج.

*** بعد النواتج** : ويشمل الوحدات ، العلاقات ، الفئات ، التضمينات ، التحويلات ، التنظيمات ، ويرى أن التفكير الإبداعي يشتمل على الإنتاج التباعدي المتشعب ، فالإنتاج التباعدي باعتباره عملية توليد معلومة ما من معلومة محددة ، حيث ينصب التأكيد على نوع المنتجات أو المخرجات من المعلومة الأصل .

ويمكن أن يتفوق الأفراد المبدعون في مجال التفكيرالتباعدي ، وهناك جانبان هامان في التفكير التباعدي هما : الكم - الكيف ، فالكم هو مقدار الإنتاج على الطلاقة باعتبارها السهولة التي تتم بها عمليات التفكير.

أما الكيف فيحدد بواسطة المرونة في التفكير وغالباً ما تكون متقلبة وخيالية ، أما المرونة التكيفية فهي أساسية في حل المشكلات.

ويؤكد "جيلفورد" أن هناك مجموعة من القدرات العقلية تسهم في التفكير الإبداعي مثل الأصالة والطلاقة والمرونة ، والحساسية للمشكلات.

ويفرق جيلفورد بين الابتكار الكامن والإنتاج الابتكاري ، فالإنتاج الابتكاري هو ذلك الجانب الذي يتصل بالفهم العام للجمهور ؛ لأن إنتاج الشخص المبتكر يأخذ الشكل الظاهر للعمل الابتكاري كالشعر ، والرواية ، والموسيقى ، والعلم ، أما الابتكار الكامن هو استعداد المبدع لإنتاج أفكاراً جديدة، وقد أطلق عليه الطاقة الابتكارية ، فهي قدرة الفرد على إنتاج أفكار جديدة تتميز بالأصالة التي هي أساس الإبداع.

رابعاً: المذهب الإنساني والإبداع:

يعتبر هذا المذهب القوة الثالثة في علم النفس ، فهو يرى أن الطبيعة الإنسانية خيره بطبيعتها، وأن كل إنسان لديه جانب من جوانب الإبداع ، هذا الجانب يختلف من فرد إلى آخر ، حسب إمكاناته وطاقته الإبداعية . و من مؤسسي هذا المذهب : ماسلو ، ايريك فروم ، وكارل روجرز.

(1) أبراهام ماسلو :

فماسلو يذكر أن هناك نوعين من الابتكار ، نوع يُطلق عليه ابتكارية الموهبة Talent creative ، والنوع الآخر هو ابتكارية تحقيق الذات Self actualization creativity .

فابتكارية الموهبة هي القدرة التي تعتمد على الموهبة الخاصة التي تنبثق منها الأعمال الخالدة في مجالات العلم ، الفلسفة ، الفن ، و هي التي لا تعتمد على الإلهام ، بل تعتمد على العمل الجاد المتواصل ، والتدريب المستمر، والنظرة الناقدة.

أما ابتكارية تحقيق الذات ، فهي تعبير الفرد عن نفسه في المواقف المختلفة ، حيث يتم التعبير عن الأفكار والحوافز دون خوف من سخرية الآخرين ، ولهذا يكون ابتكارية تحقيق الذات مرادفة للصحة النفسية السليمة التي هي الطريق الوحيد للإنسانية المتكاملة ، ولهذا أُطلق عليها الابتكارية الأولية ، أما ابتكارية الموهبة هي الابتكارية الثانوية .

(2) إيريك فروم :

أما "فروم" يرى أن الابتكارية تتضمن نوعين : ابتكارية تتمثل في ناتج معين جديد وملموس يمكن أن يراه أو يسمعه الآخرون مثل قطعة موسيقية أو قصيدة شعرية أو ابتكار علمي أو عمل فني ، ويتحدد ذلك بعدد من العوامل مثل الموهبة ، الدراسة ، الممارسة ، الظروف الاجتماعية والاقتصادية ، والتي تسمح له بتنمية قدراته الابتكارية.

أما النوعُ الثاني فهو الابتكارية كاتجاه معين أو أسلوب معين نحو الحياة ذاتها ، ويركز "فروم" على هذا النوع الثاني ، حيث إن الابتكارية طبقاً له هي القدرة على أن يرى الفرد ويستجيب ما لا يرى ويستجيب الآخرون ، ويحدد "فروم" شروطاً معينة للاتجاه الابتكاري منها: قدرة الفرد على طرح التساؤلات ، وما يسببه ذلك من إحساس بالحيرة ، للبحث عن حقيقة الأشياء من أجل حياة يعتبر كل أيامها ميلاداً جديداً ، فقدرة الفرد على تنظيم خبراته الذاتية وتركيزها في موضوع معين بحيث لا يشتت انتباهه ، فقدرة الفرد على تقبل صراعاته وتوتراته الناتجة عن تجمع أفكار متناقضة ، وعمل فكرة منها حتى يدرك ما بينها من علاقات ، ومن ثم يصل إلى الجديد ، فهذه الصراعات والتوترات تعتبر مصدر النمو لقدرة الفرد المبدع وإحساسه بذاته كمصدر أصل لأفكاره وخبراته ، وفي تفاعله مع الآخرين.

(3) كارل روجرز

أما كارل روجرز فيرى أنَّ الإبداع هو ذلك الناتج الذي يتميز بالحداثة النابعة عن فردية الفرد وتفاعله مع ما يواجهه من أحداث وظروف الحياة ،

ويشير إلى أن الدافع للناتج الابتكاري يكمن في نزعة الفرد لتحقيق ذاته ، كما أنه لابد أن تتقبله الجماعة في فترة زمنية معينة.

ويرى أنه لابد من توافر ثلاث متطلبات ضرورية للإنتاج الابتكاري هي:

1- انفتاح الفرد على خبراته واستعداده لاستقبال المثيرات المتنوعة في البيئة.

2- توفير الحرية النفسية والأمان النفسي .

3- البيئة المناسبة والملائمة لنمو الإبداع.